المحاضرة الثالثة : التقديم والتأخير والقصر فى البلاغة العربية :

لقد ميز الله عزوجل وشرف اللغة العربية بالعديد من الميزات والخصائص عن باقي اللغات الأخرى ، وخاصة أنها لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنة .

فهي بالتأكيد تمتاز بالعديد من التنظيمات والتراكيب العجيبة والميزات العديدة ، وبالتالي أنها فريدة من نوعها ، والدليل على ذلك أن كل مفردة منها لا نستطيع أن نقارنها بنظيرتها من ناحية الجمال واللطف والرونق اللفظي والمعنوي .

والتقديم والتأخير كم الموضوعات التي نالت الحظ الوفير من الاهتمام والحديث خاصة من قبل البلاغيين إضافة إلى النحو ، بحيث أن هذه الظاهرة زادت شرفا للدراسة رونقا وجمالا .

1- **فائدة التقديم والتأخير :** للتقديم والتأخير والقصر فوائد عديدة تعبر عن مدى سعي اللغة العربية إلى الاطلاع وجمع جمال الصياغة والتعبير قبل كل شيئ ، حتى وإن كان ذلك على حساب الترتيب والتركيب الذي وضعه الأولون من علماء اللغة العربية لتراكيبها .

2- **أغراض التقديم والتأخير :** هناك الكثير والعديد من الأسباب لتقديم أركان العبارات العربية من مسند ومسند إليه وتقديم الأول على الثاني ، وذلك للدواعي التالية :

أ- لكونه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .

ب- لتمكين الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقا إليه .

ت- لتعجيل المسرة أو الإساءة ، للتفاؤل أو التطير .

ث- لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر .

ج- قد يقوم المسند إليه بغرض تخصيصه بالخبر الفعلي .

- **الأغراض البلاغية لتقديم المسند :**

أ ـ **التخصيص والقصر :** نحو قوله تعالى : (لله الأمر من قبل ومن بعد)

وقول الشاعر :

عذبة أنت كالطفولة .

ب- **التفاؤل بما يسر المخاطب :** نحو : ناجح أنت ـ نجحت العملية / الجراحية

ج ـ إثارة الذهن وتشويق السامع:

مثل قوله تعالى: (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب)

د- التعجب:

مثل: لله درك!

ذ ـ المدح:

مثل: نعم البديل من الزلة الاعتذار

ه- الذم:

مثل: بئس الرجل الكذوب.

و ـ التعظيم:

نحو: عظيم أنت.

ي- مراعاة توازن الجملة والسجع:

نحو :(خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه)

- **الأغراض البلاغية لتقديم المسند إليه**

يقول السكاكي: "وأما الحالة التي تقتضي تقديمه على المسند فهي: متى كان ذكره أهم، يقع باعتبارات مختلفة: إما لأن أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه ، ...، وإما لأنه متضمن للاستفهام، .. وإما لتضمنه ضمير الشأن والقصة .. وإما لأن في تقديمه تشويقا للسامع إلى الخبر ليتمكن في ذهنه إذا أورده..."

وهناك من ذكر غير هذا فتأمله

أ- التشويق إلى الكلام المتأخر:

نحو قول الشاعر :

ثلاثة ليس لها إياب الوقت والجمال والشباب

ب- تعجيل المسرة:

نحو قوله تعالى :(جنات عدن يدخلونها)

ج - تعجيل المساءة:

مثل :السجن عشرون عاما لقاتل الطفلة .

د- للتبرك به:

نحو :الله سندي. ونحو : الله غايتنا والرسول قدوتنا والقرآن دستورنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

ذ- تقوية الحكم وتقريره:

مثل: (والذين هم بربهم لا يشركون) (المؤمنون:59).

وبالعودة إلى ما كتب حول الأغراض البلاغية من التقديم والتأخير .. في كتب البلاغة قديمها وحديثها نلاحظ أن هناك عددا آخر من الأغراض نضرب عنها صفحا ونكتفي بما قلنا.

3- مواضع التقديم والتأخير :

أما يجب تقديمه ولو تأخر لفسد معناه :

1 - تقديم المفعول به على فعله:

كقولك : زيدا ضربت ، وفيه تخصيص له بالضرب دون غيره وهذا الذي ذهب إليه المؤلف رأي أغلب علماء البيان.

2- تقديم خبر المبتدأ عليه:

نحو: قائم زيد ، ..فإنك إذا أخرت الخبر فليس فيه إلا الإخبار بأن زيدا قائم لا غير من غير تعرض لمعنى آخر من المعاني البليغة

3- الظرف:

الغالب أن **الظرف** يرد للدلالة على الاختصاص كقوله تعالى : (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم)

4- الحال:

فإنك إذا قدمت **الحال** فقلت: جاء ضاحكا زيدٌ فإنه يفيد أنه جاء على هذه الصفة "مختصا بها"

5- الاستثناء:

في نحو قولك: "ما ضربت إلا زيدًا أحدًا ، فإنك إذا قدمته فانه يفيد الحصر"

والملاحظ أن استفاضة الإمام عبد القاهر الجرجاني في البحث عن بالشواهد والأمثلة سواء القرآني منها أو الشعري للتدليل على هذه الأغراض إنما كان المراد به إثبات الحضور القوي لهذه النماذج التي ادعى البعض من البلاغيين أن الغاية الأولى من التقديم والتأخير هي الاهتمام فقط. ولعل المتفحص لكتاب الدلائل يلحظ هذا الكم الهائل من الأمثلة التي ساقها المصنف رحمه الله.

بما يجوز تقديمه ولو تأخر لم يفسد معناه :

ويقصد به كل كلام ورد فيه ذكر لشيئين أو أكثر ، وجاءت المذكورات متتالية ، فإن ترتيبها ذاك يكون لغاية معينة، وغالبا ما يكون الترتيب بذكر الأشرف فالأشرف ، ولو قدم المتأخر ما كان ذلك معيبا ، أو لو عكس الترتيب ما أخل بمعنى العبارة.انظر قوله تعالى فيما يلي : (وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا السماء)(يونس:61) وقوله تعالى:(لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض)(سبأ:3). فقدم سبحانه مرة الأرض وفي آية أخرى قدم السماء والترتيب كما قلنا إنما يكون بحسب رغبة المتكلم لا غير .

وفي الختام ما علينا القول سوى أن موضوع التقديم والتأخير من الموضوعات التي ذاع صيتها في سماء اللغة والبلاغة ، والتي تناولها الدارسون بالتحليل والشرح المطول ، ولاقت اهتماما واضحا من قبلهم .

القصر في البلاغة العربية :

القصر : من الناحية اللغوية هو الحبس ، أما من الناحية الاصطلاحية : فهو تخصيص شيئ بشيئ بطريق مخصوص ونوضحه في ما سنكتبه بعد هذا التعريف .

الأول : هو المقصور .

الثاني : هو المقصور عليه .

أما ثالثا وهو الطريق المخصوص : فهي الأدوات التي يكون فيها القصر وبيانها لاحقا على نحو : ما شوقي إلا شاعر وشرحها عن طريقة القصر : تم تخصيص أحمد شوقي بالشعر ، وقصره عليه ، وعليه نفيت صفة الكتابة عنه ، والذي دل على هذا التخصيص النفي بكلمة (ما) في البداية ، والاستثناء بكلمة (إلا) وعليه ف :

شوقي ⟵ هو المقصور .

شاعر ⟵ هو المقصور عليه .

ما – إلا ⟵ هي أداة أو ما يسمى بطريقة القصر .

كما عرفه آخرون هو أسلوب بلاغي ، ويعني تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عن سواه عن طريق أدوات معينة .

ما الفائدة من أسلوب القصر؟

الغرض من استخدام القصر هو التوكيد، بحيث يهدف المتكلم إلى تثبيت غرضه من الكلام، وإزالة ما في نفس المتلقي من شكّ، ولا يقتصر الغرض وراء استخدام القصر بكونه أسلوباً جمالياً وحسب، بل له غرض جوهري مهم يتمثل في تغيير المعنى وتقويته وتأكيده على نحوٍ يتلاءم مع الموقف الذي يقتضيه الكلام ويبرز مدى أهميته .

ما هي أدوات أسلوب القصر؟

للقصر أدوات عدة، تتمثل في الآتي :

أولاً: استخدام النفي والاستثناء

وفي الآتي أمثلة على القصر بالنفي والاستثناء:

يقول الشاعر: وما الدنيا سوى حلم لذيذ تنبهه تباشير الصباح ==> قصر الشاعر (الدنيا) بأنها (حلم لذيذ شهي)

يقول تعالى: (وما توفيقي إلا بالله) ==> (التوفيق) مقصور على (الله -عز وجل-)

المقصور عليه في أسلوب (النفي والاستثناء) هو المذكور بعد أداة الاستثناء.

في الأمثلة السابقة المقصور عليه هو: (حلم لذيذ شهي)، و(الله -عز وجل-) على الترتيب.

ثانياً: استخدام إنما

وفي الآتي أمثلة على القصر باستخدام (إنما)

إنما المؤمنون إخوة ==> قصر المؤمنين بأنهم إخوة .

إنما الدنيا غرور ==> قصر الدنيا على أنها غرور .

المقصور عليه مع (إنما) هو المذكور بعدها، ويكون مؤخراً في الجملة وجوباً.

فالمقصور عليه في الجمل السابقة : (إخوة) و (غرور) على الترتيب .

ثالثاً: استخدام التقديم والتأخير

ويكون بتقديم ما حقه التأخير لغاية التأكيد عليه، على نحو:

قول الشاعر: إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب ==> حيث قدّم الشاعر الجار والمجرور (إلى الله) على الفعل (أشكو) والأصل : أشكو إلى الله .

على الله توكلت ==> تقدّم الجار والمجرور (على الله) على الفعل (توكلت)

إياك نعبد ==> تقديم المفعول به (إياك) على الفعل والفاعل .

المقصور عليه في (تقديم ما حقه التأخير) هو المذكور المتقدم .

رابعاً: استخدام حروف العطف

يكون القصر بالعطف بـ (لا)، و(بل)، و(لكن)، على نحو.

قول الشاعر: عمر الفتى لا طول مدته وموته خزيه لا يومه الداني .

وكذلك قول الشاعر: ما جئت بابك مادحاً بل داعياً ومن المديح تضرع ودعاء .

وأيضا قوله : ما الفخر بالنسب لكن بالتقوى .

المقصور عليه مع (لا) العاطفة : هو المذكور قبلها .

والمقصور عليه مع (بل)، و(لكن) يكون بالمذكور بعدهما .